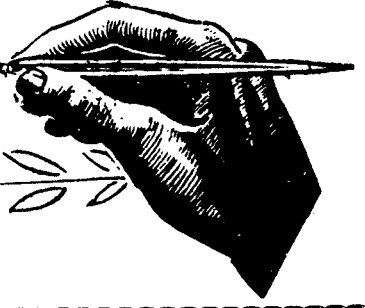


النتائج الجديدة



المستحيل

رواية بقلم مصطفى محمود

أحداثاً ، أما البناء والصنعة والتركييب فاشياء ليست موجودة بصورة ملموسة في « المستحيل » . ان هناك جملا كثيرة تفق كل واحدة منها في سطر او سطرين (مثال هذا ما جاء في صفحة ٣ وصفحة ١٥٦) فنذكرنا بالخواطر . وهناك جوانب انطباعية صارخة في صفحات الكتاب نحس ازاءها ان المؤلف هو الذي يقولها ، فنذكر على الفور ادب الاعترافات اما الافكار فيكتظ بها الكتاب حتى نحس بان « المستحيل » وجهة نظر او وثيقة لا رواية - بل اننا نحس ان الشخصيات لم ترسم ويستتم اختيارها الا لتعبر عن فكرة مثلما تعبر مقالات « ابليس » عن فكرة ، او مجموعة من الافكار .

هذا الكلام لا يقال هنا من باب اللوم او الانتقاد ، وانما الهدف منه هو توضيح الموقف . وبعد ذلك تبقى تلك الحقيقة التي لا تقبل الشك ، وهي ان « المستحيل » كتاب فريد .

استخدم فيه المؤلف لسان التكلم ، وهو البطل حلمي ، ولذلك سنرى كل شيء هنا من وجهة نظر حلمي . انه يلقي ظله على احداث الرواية ، وعلى شخصية فاطمة الحامية عشيقته ، وناني حبيبته ، وامينة زوجته . ولن يتاح لنا ابدا ان نعرف هذه الشخصيات من زاوية اخرى او بعبارة ادق : لن تعرض لنا عرضا موضوعيا . ان الجوانب الوحيدة التي تظهر من هذه الشخصيات انما تظهر لنا لان البطل حلمي اكتشفها وخبرها .

فمن هو حلمي ؟ انه - المؤلف - يعشق ذبذبات الحياة ، يعشق اللحظة ، حتى لو كانت مؤلمة : « وفي الحقيقة لم اكن اعلم لماذا احب القمار .. ولكنني كنت احس ان كل لحظة اثناء اللعب تبدو لحظة مهمة جدا بالنسبة لي .. وهذا في نظري سبب كاف لاحب اي شيء . » (ص ٥٣) وهو يتنرد على التقاليد والعادات ، ويثور على الاشياء التي تواضع عليها الناس ، ولذلك يبدو شاذا في نظر الآخرين . وكانت ماساته الاولى ارتباطه باب يمثل هذه التقاليد الجامدة خير تمثيل ، لقد اختار له زوجته ، بل اختار له الشقة والصور التي يجب ان تعلق على جدران الشقة . واثبت حلمي وجوده في النهاية عندما تمرد على الرباط الذي يربطه بالاب ، عندما استطاع في النهاية ان يختار لنفسه الشراب الذي يفضله ، وان يرفض الاشياء التي يكرهها . بل ان هناك اشياء عابرة في الكتاب تثبت مدى كراهيته للعادة وللأمور التي تسير على وتيرة واحدة . ان عربته تمثل لديه - لاشعوريا - العادة والتقاليد والجمود . ولذلك يتركها في لحظات الانطلاق ، ويفضل السير على قدميه . ففي اليوم الذي « تفر » فيه وضارب في البورصة ودخل السينما ثم الملهى يقول : « وحينما تركت الملهى في ساعة متأخرة من الليل فصلت ان اعود الى بيتي ماشيا » (ص ١٦)

وذات مرة كان يلعب القمار ، ثم استطاع ان ينتزع نفسه من حلبة القمارين ، واخذ يتفرج عليهم ، من بعيد ، بعد ان تخلص لحظة من التيسود التي كانت تشده معهم الى مائدة اللعب ، وبعد هذه الانطلاقة يخرج ليقول : « واصفحت انفي نسمات الصيف العليقة فآثرت ان امشي

يكفي ان يقال ، في معرض الشاء على مصطفى محمود ، انه كاتب يستحق الدراسة . فكتابات تترك وراءها اثرا .. كالفارغ البخاري الذي لا يترك صفحة الماء مثلما وجدها . انه كاتب مشاكل ، بل يكاد هو نفسه ان يكون مشكلة ! وهو قد اختار لنفسه طريقا وعرا ، ذلك لان الاسئلة التي يطرحها ، والتي يحاول جاهدا الاجابة عليها ، اسئلة معقدة ، ووراء كتابه الاخير يقف (اكل عيش) و (اله الانسان) و (قطعة السكر) و (اعترفوا لي) ومقالات وخواطر ترى علسى صفحات « صباح الخير » .

ولقد تفرغ الطبيب لكتابة ، بعد ان استفاد - بكل تأكيد - من مهنته التي عرفته بقطاعات من الحياة . والنبذة التي جاءت عنه على غلاف « المستحيل » تقول انه « .. تخصص في الامراض الصدرية .. ثم تفرغ للكتابة . » ولكن ، هل ترك الطب حقا لمجرد انه يريد ان يتفرغ ، لمجرد ان « صاحب بالين كداب » ؟ لمجرد ان الوقت ، من حيث هو وقت لا يتسع للمهنتين ؟ لا . ليس هذا هو الجواب الوحيد الكامل . لقد ترك مهنة الطب لانها ولدت في نفسه صراعا مدمرا . ان هذه المهنة بالذات تجمله ينظر الى الاشياء من بعيد ، غير ان الفنان فيه يريد ان يندمج معها ، اذ يسعى وراء القلق ، ووراء لذة الشعور . امسا الطبيب - في نظره هو - فمستريح هاديء بعيد عن زواجب القلق ، انه كمن يلعب الشطرنج وهو مسترخ على مقعد مريح . وفي ذلك يقول في كتابه « ابليس » :

« ان الطبيب حينما يكشف على امرأة عارية لا ينظر اليها بقلبه ، ولكنه ينظر اليها بعقله .. انه يقطع صلة الشعور التي تربطه بمريضته ، ويكتفي بالتفرج .. وهو لهذا لا يبكي اذا اكتشف ان مريضته عندها سرطان » . (ص ١٦)

ان الفنان في مصطفى محمود يتنرد على الطبيب ويجبره في النهاية على ان يتفرغ للفن . وتكون النتيجة هذا السيل من المقالة والافكار والقصص و .. « المستحيل » .

انه كتاب حزين ، وحين اقول انه رواية اتردد بعض الشيء ، فالذي يطالعها يكاد يدرجه تحت قائمة اليوميات ، او الاعترافات ، او الخواطر . وسنظم الكتاب والكاتب وفن الرواية اذا قلنا ان « المستحيل » رواية ، لان هذه التسمية ستفرض موازين ومقاييس ليست موجودة في الكتاب . ان الشيء الوحيد الذي يشترك فيه مع الرواية هو ان هناك

* ليس معنى هذا ان تلك الحقيقة تنطبق على كافة اطباء الفنانين .

وتركت عربي في الجراج».. (ص ٥٤) اذ لم يفضل السيرلان نسمات الصيف علية ، وانما لانه يمر لحظة انطلاق .

وثمة شيء فريد بلفت النظر الى شخصية حلمي ، انه بكره الكذب ان الكذب برعبه ، وهو الذي اربعة في فاطمة العشيقة الفاتنة ، فجعله ينفر منها « واحسست ايضا .. انها تكذب .. وانها ايضا كانت تكذب وانها دائما تكذب .. وان هذا الشيء الغير حقيقي فيها هو السني بنفري . » (ص ٦٤)

وعندما يحدثه الخواجه متري ، مستشاره المالي ، عن جدوى النصب في التجارة والزراعة يخرج من عنده ويقول ان الحديث الذي دار بينهما كان صدمة لاصابه ، اذ فقد فيه الكثير من ثقته وایمانه دفعة واحدة . انه يتساءل في مرارة ، بعد هذا الحديث : هل صحيح ان الدنيا نصب في نصب ؟ وهو بكره الكذب في الذين يزورونه ويعجبون بلوححة الجيوكندا ، انه يردد لهم كالبيضاء المحاسن التي عددها ابوه في هذه اللوحة ، ويبعد على كل صيف هذه القصيدة ، فيتحدث - على الرغم منه - عن الابتسامة غير المنظورة ، وعن الاعجاز ، فيؤله ان الصيغوف المنافقين يهزون رؤوسهم في آلية ، ويكذبون على انفسهم ويصيحون « ياسلام .. حقا انها رائعة . واليدان تبتسمان .. تماما .. ياسلام .. » (ص ٦) وكراهيته للكذب تنفره من الزراعة والتجارة والمصارفة . ونستطيع ان نثر على بوارد هذا التمرد في قصة قصيرة قديمة كتبها المؤلف وضمها مجموعته « قطعة السكر » التي نشرها الكتاب الذهبي في ماسو عام ١٩٥٩ ، والقصة بعنوان « لا احد » وبطلها قد فتح محلا لبيع وشراء الكتب القديمة ، والبطل هنا بفاجيء نفسه في تمرد :

« ان كل ماحدث انك امتلكت دكانا .. فتفريت .. تفريت دون ان تدري .. اصبحت تدفع مع ابصالات النور والماء وابجار الدكان اقساطا من ضميرك كل شهر .. وهكذا بفعل اسحاب الدكاكين .. وكل التجار

صدر حديثا :

الطبعة الثانية من ديوان

قصائد عربي

للشاعر سليمان العيسى

دار الاداب - بيروت

.. فانت تكذب وانت تشتري الكتب .. وانت تكذب وانت تبيعها . » (ص ٥٤)

وعندما تغير حلمي ، بعد اسطورة الاب ، صار يتمرد على كل ماهو سلمي ، وينجذب الى الايجابي ، مهما كانت صورة هذه الايجابية ، انه ينجذب الى فاطمة المحامية بالرغم من ان ايجابيتها مدمرة ، وينجذب الى ناني ، بالرغم من ان حبها المتصوف - الايجابي - يعذبه . امسا زوجته السلبية امينة ، تلك المرأة الطيبة ، فلا تثير في نفسه اي شعور بل لا تثير في نفسه شعورا بكرهيتها ، انها اتفه من ان تثير في نفسه شيئا .

واذا كان حلمي لم يحقق في الكتاب انتصارات كثيرة ، واذا كان يقف حائرا امام الحاجز المحزن الذي خلقه حبه لناني وحب ناني له ، الا انه حقق انتصارا كبيرا حين اختار لنفسه شيئا (ص ١٣٦) لقد رفض الارض بمغريباتها ، ووراء رفضه لها يكمن رفضه لكل ماهو تقليدي ، ولكل ما كان يربطه بالاب . انه يريد في النهاية ان يحقق ذاته . ومما يؤهله لهذه الغاية انه لا يجب الكذب كما اسلفنا « لا استطيع ان اكون شيئا اخر غير نفسي .. » (ص ١٣٦) . ثم يستطرد قائلا :

« افضل ان اعيش حياة صغيرة املكها .. عن ان اعيش حياة كبيرة تملكني .. اريد ان اكون حرا .. اريد ان اقطع صلتني بكل مايفرض علي واجبات لا احبها .. انا اكره الواجبات كلها . »

نتنقل الى فاطمة .. من هي فاطمة ؟ لقد وصف المؤلف عيشها وجرأتها وتصويرها لدور الانثى في اول لقاء بينها وبين حلمي في حفلة عيد الميلاد ، ووصفها من جديد عندما ذهب حلمي اليها في مكتبها لبحث في قضية الوقف . ووصفها ايضا اثناء مرضها . انها امرأة ماهرة جدا ترسم الخطط وتنفذها وتعرف ماذا تريد ، لقد ذهب اليها ليحدثها عن قضية ، قضية الوقف ، ولكنه يقع في شباكها ، ويذكرها بقضية ويسألها ماذا ستفعل في قضية الوقف فتجيب ضاحكة : « ان الوقف هو انت وقد حللنا الوقف .. لم تعد خرابة موقفه على زوجتك كما كنت زمان .. وانما اصبحت ملعب كره .. اليس هذا انتصارا رائعا .. هل رأيت دفاعا يفوز بالحكم بهذه السرعة ؟ » (ص ٥٦)

ولكن ، بالرغم من اغراء فاطمه وعيشها واحتلالها لصفحات كثيرة من الكتاب ، لانحس انها انثى من لحم وعظام . ان معظم حوارها مع حلمي لايعدو ان يكون حوارا جدليا بلاغيا . صحيح انها متعلمة غير انها لايعبر عن الواقع بحذافيره ، ان كلامها عن الحرية والارادة خطب ومواعظ ، وكلامها عن الرجل بيانات وحجج ، وهكذا ، وواضح تماما ان المؤلف عبت بها واستخدمها للتعبير عن افكار ، لا للتعبير عن حياة متكاملة تتحرك داخل عمل فني .

اما ناني ، تلك المرأة الرقيقة التي احبها حلمي في النهاية فتقف مع فاطمة على الطرف الاخر ، انها صورة مقابلة تماما لشخصية فاطمه . ان فاطمة تفعل ماتريد ، قائلة ان الباقيات مناققات ويحلمن بان يتصرفن مثلها بحرية . اما ناني ، الحزينة الوادعة ، فلا تستطيع ان تحلم بذلة من هذه الحرية . ويسألها حلمي : الم تكن لها امنية وهي صغيرة ؟

وبعد تردد تجيب في وداعة :

« كنت اتمنى ان اكون ولدا .. فقد كنت ارى الاولاد حولي يفعلون كل شيء . وانا والبنات نستأذن لنفعل اي شيء .. حتى اذا اردنا ان نشرب .. » (ص ٧٦) وتعزف المسكينة دائما لحن « الطائر السجين » لفرناندو ، وهي في واد وزوجها في واد ، وهذه الماساة التي تجثم على انفاس كل شخصية في الرواية . ان حلمي الزوج في واد وزوجته امينه في واد . وناني في واد وزوجها السمين في واد . ان هناك ستارا مؤلما يفصل بين كل طرفين ويتسبب في وقوع اشياء مؤلمة . ويتصل بهذه الماساة - وينتج عنها - احساس معظم الشخصيات بالوحدة والفرقة والفراغ ، حتى فاطمه ، انها في النهاية امرأة مسكينة ، ضائعة ، وحيدة . واريد ان اقف عند هذه النقطة لحظة ، اريد ان اشير الى ماساة

ترك جسده يفوده كالدابة ، والخواجه متري يذكر البطل دائما بان كل الناس وحوش ، يفترسون بعضهم البعض . وناني تتحدث عن سوس القلق الذي يأكلها . وحلمي عندما يسافر الى سوهاج يقابل مع الخولي رجلا يشبه الجراد ، وهذا الرجل كانت عينه « وارمه زي عين الجمل . » (ص ١٢٩)

ولفت نظري كثرة اشارة المؤلف الى الشاي ، وخيل الي ان الشاي يذكر في « المستحيل » دائما في لحظات الازمة ! فحلمي يشير الى ابيه وكيف انه كان يجبرهم على شرب الشاي ، وبعد ان تخلص من قيد ابيه احضرت له زوجته كوبا من الشاي فصاح « انا لاحبب الشاي » (ص ١٠) وعندما يلتقي بناني ، في بيتها ، ويلبس الوحدة والقربة والاستسلام الحزين الكامن في عينها تقوم زوجته لتحضّر الشاي ، ثم تجيء بالشاي ، وعندما ذهب هو وزوجته وابنه وناني الى الكازينو تتحدث ناني عن وحدتها والامها وارقتها ثم يرتفع صوت الملاعق وفناجين الشاي .

انني اختم المقال بهذا السؤال : ماكياية الشاي هذه ؟ وما هو ياترى ارتباطها النفسي بالنسبة للبطل ، او بعبارة افصح : بالنسبة للمؤلف ؟

محمد عبد الله الشافقي

القاهرة



أغاني العودة

للشاعر علي هاشم رشيد

✱

عاصر الشاعر علي هاشم رشيد تاريخ بلاده الحي الحزين ، ولس لس اليد خيانة انجلترا لبلده الغالي فلسطين ، وعاش كارتتها في عام ١٩٤٨ ، وشهد مآسي المشردين واللاجئين في غزة مسقط رأسه فانقلب هذا الوديع الطيب ، انسانا يطوّف بقلبه الحقد على غاصبي بلاده والتمارين عليها .

ولا على الانسان ان يحقد ويكره ويشور لذلك ، فما بالنا بالشاعر المرفه الاحساس . لا عليه اذا اندلع لهب الحقد والثورة على شبات قلمه ، فذلك هو الحقد المقدس من اجل مقومات الحياة ، من اجل الوطن الذي افترسته الثئاب .

هذا الحقد الشريف المقدس غمر طائفة من قصائده وعلى رأسها قصيدته « الشريد » وهي ألم درة من دراري هذا الديوان لما وعته من تجربة حقيقية من تجارب الضياع والحرمان ، تجربة لم يؤدها تادية مختصرة ، بل تادية مفصلة ، يسري فيها متنوع الانفعالات الاليمة وتبرز فيها عاطفة الحقد الشريفة . وفيها يقول :

انا يا اخي الانسان مثلك كان لي وطن حبيب
قد كنت فيه اعيش في رغد وفي عيش رحيب
وبه الحدائق والجبال الشم والمرج الغصيب
وبه الاماني المذاب وشمس عز لا تيب

أجل ، لقد كان يعيش في رغد ، في احضان شجرات الزيتون والبرتقال ، وبين الجبال الشم ولكنه اقصي عن بلاده ليقيم بها الغريب ، فاحس حقيقة بما لم يحسه احد من المحتلين بمعنى الحرمان والضياع:

اتراك تعرف يا اخي الانسان ما معنى الضياع
اتراك تشعر ما افاصي من شقاء والضياع
فاليك قصة موطني المنكوب في هذي البقاع

« المستحيل » ، انها تتمثل في الوحدة والعزلة وانفلاق كل مخلوق على نفسه . انها مأساة حلمي : « وسرت استاف الهواء في خياشيمي .. واهز يدي جانبي .. وانظر الى الناس .. وكل واحد فيهم يسير ملفوفا في مشاكلة كانه دنيا صغيرة .. لايفيق منها الا لحظات ، يئلت حوله هاهو واحد يعرفه . واهلا وسهلا . كنت فين . مضى وقت طويل لم نرك . لايد ان تزورنا يا اخي .. ثم يعود فيفطس في دنياه ويفلق باب قمرته . ويبحر الى الاعماق البعيدة في نفسه .

ويبحر .. يبحر الى أين !!!

وتشوقت الى شاطئ .. » (ص ٥٥)

ان جميع شخصيات المستحيل تبحث عن شاطئ . وشاطئ حلمي ، في اول الامر ، هو فاطمه ، غير ان جسديهما لايقضيان على العزلة ، على مأساة « المستحيل » :

« لم تقو اللذة الجسدية التي جمعتنا ثلاثة ايام متوالية على ان نتغلب على هذا الشعور (الشعور بعدم الارتياح) .. وظلت علاقتي معها بالجسد وحده .. بينما روحي تهوم بعيدة نائرة .. » (ص ٦٢)
وامينه الطيبة تعاني من الوحدة وتذكرها ، بالرغم من سلبيتها . انها تعاني من الوحدة وزوجها حلمي يلعب القمار ويضحك ويبعث ، وعندما يعود من رحلة الائم مع فاطمة ، تظن انه حزين لان والده مات ، ثم تبكي وهي تتذكر ماساتها ، مأساة الوحدة والعزلة ، وتقول له « منذ شهور ونحن نعيش بعيدين منفصلين كأننا غرباء .. » (ص ٧٨)

ونخرج من الكتاب وفي فمنا مرارة العلقم ، ان الكتاب يقول لنا : ما اقل الاشياء التي يمكن ان تتحقق في دنيا الواقع ، واذا كان ثمة شيء واحد مشرق فهو قدرتنا على تحقيق الاشياء في اعماقنا فقط ، في داخلنا بعد ان فشلنا في تحقيقها في الخارج . هذا هو الدرس الذي تلقنسه ناني لحلمي ، وهذه هي طريقتها الوحيدة في تحقيق المستحيل ، فحلمي مجنون بها ، يريد ان يتزوجها ، انه يصرخ : لن يكون في الدنيا حسب اذا لم نتزوج .. فتجيب انه ليس هناك في الدنيا حسب وانما « الحب في قلوبنا وليس في الدنيا .. انه في وهما فقط . » (ص ١٤٣)

ولقد قرأت معظم ماكتب عن « المستحيل » واتضح في هذه الكتابات ان كل كاتب يتناول « المستحيل » من زاوية . لقد كان ل « المستحيل » معان تتعدد بتعدد الكتاب . وكانت المشكلة (وهي المشكلة التي وقعت انا الاخر ضحية لها) اننا نؤكد النقاط التي تهمننا ، والنقاط التي يشرها الكتاب في نفوسنا ، على حساب نقاط اخرى هامة ، ان الدائبة شبح رهيب يترصده كل من يتعرض للامعمال الفنية ، خاصة اذا كانت من طراز « المستحيل » . ذلك لان الكتاب لايتترك القارئ مستريحاً او هادئاً او حيادياً ، وهو لايجل له كل شيء ، انه يتحداه ، ويزعجه ، ويطالبه بان يتخذ منه موقفاً ! ان اي قارئ لايجد مفرا من ان يقف مع حلمي او ضدّه ، ولا يجد مناصاً من الرثاء لفاطمه او الاحساس بالتقرز نحوها ، وينطبق هذا ايضا على بقية الشخصيات .

فالذا انتقلنا الى الاسلوب وجدنا انه اسلوب خواطر ويوميسات واعتراقات . ان هناك عبارات تحتل سطرا او سطرين فقط ، وهناك نقاط كثيرة تعترض سير الكلمات ، وهناك صفحات كاملة تشترك مع الشعر المنثور في ملامح كثيرة . ويقودنا الحديث عن الاسلوب الى التعرض للتشبيهاات . ان غالبيتها تشبيهاات حيوانية ، وتشبيهاات تتصل بالطير والحشرات ، فالطبال يدور حول الراقصة كالقرد ، ويد فاطمة المحامية كالمرسه ، وفاطمه تشبه جسد حلمي البارد بجسم الضفدعة ، وتخبره بان زوجها كان حيوانا ، وانه كان غليظا كالثور ، يخور وهو يتكلم وفاطمه تحب من الرجال النوع القططي ، وتسخر من حب الرجال للفضيلة مع انهم اقدر الخزائير . وعندما ذهب حلمي الى حفلة القمار اخذ يلعب ويكسب ويقرقر في سعادة « كالقطة التي اكلت جيدا ووجدت مكانا ليئا دافئا تتمدد عليه .. » (ص ٥٢) والمقطوعة التي تعزفها ناني دائما هي مقطوعة « الطائر السجين » . وحلمي يصبح وهو في قمة النشوة مع فاطمه : يا حيوانة ، وعندما بدأ يفيق بها اخذ يحس بالهواء لانسه

وانها ليست قصة وانما هي مأساة عالية ، انتهت بالطالب، والزارع،
والعامل ، والام وكل من يصنع الحياة ، بالعدم . حتى الطير الوداع
في غابة الزيتون قد قتل ، وفي موسقة هامة يعبر الشاعر عن
هذا يقول :

كان الحمام يرف في بيتي وينعم بالهديل
في غابة الزيتون في رغد وفي ظل ظليل
قتل الحمام ، وقطع الزيتون غدار دخيل
واذا بموطني الحبيب يعيش في ليل طويل
الموطن الحبيب هجره عنوة ساكنه ، وغدا صاحبه يضرب في
الارض على غير هدى . ولم يعرف الا في القرن العشرين ظم كهذا الظلم،
ولا غدر كهذا الغدر . يقول :

وغدوت اضرب في القفار بلا انيس او معين
والبيت بيتي خلف اسلاك من الافك المين
نفسى تحن بلوعة فيكاد يقتلني الحنين
اسمعت عن ظم كهذا الظلم في عبر السنين

✱ ✱

اصبحت في كوخ حقيق بعد عالية القصور
اصبحت متبوذا تقاذفتي المنايا والدهور
والسل ينخر في العظام وفي العروق وفي الصدور
والجوع والتشريد والحرمان اكواب تدور

✱ ✱

ومع الجوع ، فانه يقتلني بالحقد المقدس وتضىء له في الظلمات
شعاعات الامل ، الامس في العودة ، واليوم قريب ، قريب وان راه
الظالمون بعيدا . وفي ذلك يقول :

- ٢ -

اني ساصنع من لبيب الحقد نارا اي نار
اني سابني الوحدة الكبرى ففيها كل نصري
انا مؤمن بعروبتى ، انا واثق ببزوغ فجرى !
اما كيف يبزغ الفجر ، فهو متأكد واثق من بزوغه بما يحمل بنو
وطنه من شوق على النضال واصرار ، وبما يؤمل اكيدا في ابناء العمومة
من عون . فاذا ما وجد هذا العون سار الجيش العربي الى يافا ،
العزبة عروس البحر ، فاذا ما استولى على يافا كانت تل اييب قريبة
النال . يقول :

سنسير يا وطني اليك بزمجرات من نضال
وترف رايات العروبة ، فوق هامات الرجال
سنسير جيشا عارما لجبا صمودا كالجبال
سنسير قائدنا ورائدنا الى يافا جمال

لا الى يافا فقط بل الى حيفا ملتقى شجعان العرب ، ومن جبل
الكرمل يعلن هؤلاء الزحف المقدس ، وذلك ما خطه في قصيدته
« نسر العروبة » وهي درة ثانية من درر الديوان ، وقد استهلها بقوله :

لا تياسي اختاه فالغد للشباب
ولامة تسمى ولا تخشى الصعاب
انا نسير ، نسير دوما لا نهاب

فسفينة العرب القوية شفت اليوم العباب

✱ ✱

وتخط في سفر الخلود
مجدا كما خط الجدود
وغدا نمود ، غدا نمود
صفا ونمصف بالحدود

✱ ✱

لا تياسي فغدا بحيفا فوق كرمنا اللقاء
في زحفة للثار نسمى حينما يعلو النداء
رخط آيات الخلود مدادها قاني الدماء
قدم الشهيد بدرب عودتنا ولقيانا ضيياء

✱ ✱

وقد يقول قائل انها احلام شاعر . فكيف تكون العودة ، وعلى
اي اساس يقوم هذا الامل الكبير ، وبعض بلاد العروبة في خلاف .
ولكن الشاعر يعتمد اول ما يعتمد على امته وعلى شبابها ، كما يعتمد
على ابناء العروبة وشعبها . هذه الشعوب التي توحدت كلمتها
في كل قضية عربية عادلة ، توحدت في مأساة فلسطين ، كما
توحدت في قناة السويس ، وفي قضية الجزائر . وفي قصيدة
« الامل الكبير » القصيدة الحرة التي يرى فيها فجر الزحف ، وصباح
النصر ، يقول :

اني ارى ذلك الصباح اراه رغم المقتنين
اراه رغم الظلم يعصف من شمال او يمين
اني اراه ارى جموع الزاحفين المائدين
وانا وانتم في الجموع المائدين
اذ ذلك تبسم الحياة ونجتني ثمر الصمود
هذا الصمود

هذا الطريق الى الخلود لكي نمود
ومع الشروق شروق عزم الماملين
الباذلين الروح للوطن الثمين
اذ ذلك في يافا تحيينا الرياض
وهناك في يافا على الشط الجميل
يتفتح الامل الكبير

(١) محاضرة القايت برابطة الادب الحديث في ٦ - ١٢ - ١٩٦٠

من منشورات دار الاداب

دواوين نزار قباني

زينة لكل مكتبة

الثمن

قصائد نزار قباني	٣٠٠ ق.ل
قالت لي السمراء	٣٠٠ ق.ل
طفولة نهد	٣٠٠ ق.ل
سامبا	١٠٠ ق.ل
انت لي	٢٥٠ ق.ل

دار الاداب

بيروت - ص.ب ٤١٢٣

أمل العروبة في اتحاد يجمع الشعب الكبير
 ويعجب الكثير منا وهو يسمع هذا الشاعر وغيره من الشعراء ،
 وهو يردد القول ولا يمل من التردد انه يرى الفجر ، يرى النازحين
 عاندين ، فيتساءل كيف يراه ؟ ان هو الا رؤية شاعر ، بهيم في الخيال.
 وقد سألت الشاعر هذا السؤال ، ولكنه أكد انه يراه . ومد اصبعه
 الى خريطة بلده الضحية ، الى بلدة طولكرم ، وقال من هنا يمكن ان تبدأ
 الزحف الى تل ابيب والى يافا الحبيبة ، من هنا ... ونحن نؤمن
 بالقد ، والقد يصنع المعجزات ، ووجدت في قصيدته « انا لي غدي »
 معنى ما يقول ، وهي درة نالته في الديوان وفيها يقول :

هم يزعمون بانني اقصي الحياة بلا غد
 ويلف آمالي الكبار جناح طير اسود
 وسفينة الاحلام قد غرقت ببحر مزيد
 خابوا فاني مطلع شمس التحرر في غدي

✱ ✱

انا في دم الثوار في وطن يمز بكل نائر
 وعلى ذرى عيبال اخواني وفي ارض الجزائر
 اني سيماط النار تفرع كل غدار وجائر
 اني نداء النار تبعته الى العزم الضمانر
 وكنت اومن بالعودة ، عودة هذا الشعب الثائر الذي يستقطب
 الثورة من المحنة ، والمزيمة من الموحدة ، والنصر من الهزيمة ، وبقتات
 من الايمان بالقد المضي .

- ٢ -

وكيف لا يؤمن بالقد وقد شهد ثورة ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ مسي
 مصر ، تخرج الاجنبي الدخيل في عام ١٩٥٦ ويكتب لها النصر في
 العدوان الثلاثي فيحيي الثورة بقصيدته « تحية ثورة مصر » ويرحب
 برئيسها في قصيدته « مرحى جمال » ويلمس آثار هذه الثورة في
 ثورات تونس ، ومراكش ، والجزائر ثم تندلع ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨
 في العراق ، فيهتز قلبه طربا ويذكرها بقصيدته البديعة « عروس
 الحرية » ويرى في هذه الثورة بشيرا بالعودة الى ارض الجدود وفي
 هذه القصيدة يقول :

جاء البشير بيوم عودتنا الى ارض الجدود
 يوم نحقق فيه وحدتنا ونكتسح السدود
 ونزبل باسم الحق هاتيك المائل والحدود
 ونظهر الارض الحبيبة من اكاذيب اليهود
 والنسازج المظلوم رغم الخصم للعليا يعود
 هذا هو المد العربي الثوري الذي يحتاج الحدود والسدود ، المد
 الثوري الذي اخرج انجلترا من مصر ، وجعلها تنتصر على دول ثلاث ،
 المد الثوري الذي اقلع المتجربين والطفاة والمحتلين في العراق فهوت
 الطواغيت لان ارض العروبة للدخيل حرام كما يقول .

✱ ✱

وفي القصائد الخمس التي علقنا عليها تعليقا موضوعيا نجد الشاعر
 قد تحدث حديثا مطلقا ، بمعنى ان فكراته فيها كانت مجردة ، ولم يات
 باحداث خاصة مفصلة اللهم الا في قصيدته « الشريد » واذا كان هذا
 مقبولا من شعراء العربية الذين لم يعايشوا تاريخ فلسطين ولا احداثها
 وكوارثها وانتصاراتها ، فانه يؤخذ على شاعر مثل علي هاشم رشيد الذي
 يعرف هذا التاريخ معرفة واعية ، ويعرف اشخاص ابطاله معرفة وثيقة ،
 وقد حدثنا عن طائفة من احداث هذا البلد التاسع فردية وعامة حديثا
 كاد يستثير دموعنا فما باله لم يترجم بالشعر عن هذه الاحداث ،
 والشعر قادر على ان يعبر عنها في قوة وتأثير بالفين .

وربما خفف من مؤاخذتنا له ما تضمنه ديوانه من قصيدة بتيمة
 ولكنها قصيدة بارعة هي قصيدته « رسالة من الكويت » وهي تسجل
 مأساة فلسطين من بدنها لختامها ، وترجم عن مأساة صبية كانت
 تعيش في حيفا في بيت على جبل الكرمل يطل على البحر الابيض ،
 وعلى مقربة مدينة عكا التاريخية وفي فترة ما قبل حرب ١٩٤٨ أعلن
 الانجليز اخلاء فلسطين ليتمكنوا لليهود من الاستيلاء على مدينتها بخطة
 محكمة مدبرة ، ففي ٢١ أبريل سنة ١٩٤٨ حسبما جاء في كتاب المجاهد
 العربي الالمعي عبد الله النل « كارثة فلسطين » قرر الانجليز اخلاء
 جميع المراكز التي تحتلها القوات البريطانية في حيفا ، فتقدم اليهود
 واحتلوا المواقع المحصنة ، وراحوا يشنون الغارات على العرب ويصلونهم
 من نيرانهم ، ففزع العرب لهذا الهجوم المفاجيء ووقف الانجليز يمنعون
 أي نجدة من النجيدات العربية من الوصول الى المدينة ، وتمكن الالاف
 من هجرة المدينة تاركين جميع ما يملكون ، وكانت هذه الصيبة من بين
 هؤلاء النازحين ، ودار بها الزمن فهضبت تعملل بالكويت ، وارسلت
 للشاعر هذه الرسالة تعبر عن آلامها وذكرياتها واشواقها في العودة :

انا في الكويت الان اكتب للعروبة
 ولاخوتي في كل منعطف يمر به الطريق
 انا بنت حيفا قد ولدت على سفوح الكرمل
 ونشأت في مسرى الجمال
 فوق الرمال
 وعبيت من فيض المطور ومن شذى سفح الجبل

✱ ✱

اخوتي اني قد كتبت اليك فلتقرأ كتابي
 فهو قصة
 قد خلقت في الصدر غصة

صدر حديثا :

الطبعة الثانية من

سائر والوهدوية

كتاب لا بد ان يقرأه كل من يريد ان يفهم آثار سائر

تأليف

م . البرسي

ترجمة الدكتور سهيل ادريس

منورات دار الآداب - بيروت

لكنها تركت فؤادا لانسلاج الفجر ناظر

✱ ✱

وتأخذ في سرد ذكرياتها السعيدة تقول :

اني لاذكر انني قد كنت احييا

في موطن كل الجمال عليه يحييا

والكرمل المطار يزخر بالظلال

وملاعب الاطفال تحت الشئمة الورقاء لا زالت ظليله

اني اراها من هنا من مسكني عبر الفيافي

فهي لا زالت ظليله

ترنو لنا في نظرة التكلى الحزينة

أرجوحتي فوق الجبل

في الكرمل المحبوب في رأس الجبل

هي لا تزال هناك تنتظر الرجوع

وانا هنا ارنو لها عبر الحدود

✱ ✱

وتستمر لاهجة بهذه الذكريات تكررها وتعيدها وفي تكرارها حلوة،

ثم تأخذ بنا او يأخذ بنا الشاعر الى مشهد اخر ، هو عكا القريبة من

حيفا ورؤية سكان جبل الكرمل لها وهم في بيوتهم تقول :

وامد طرفي للشمال - فارى الجمال

وحصون عكا من بعيد في اختيال

ترنو الى التاريخ باسمه وتزهو كالجمال

في ظلها كان النضال ولا يزال بها نضال

لو ان للاحجار ان تشكو لشارت كالرجال

وتكشف لنا عن مشهد حيفا في الليل ، والبحر العظيم يفصل

اقدامها . تقول :

واذا عروسي الكرمل المطار في حلل البهاء

بنوافذ مثل النجوم تطل للبحر العظيم

ترنو الى الاضواء في تلك البواخر والزوارق

لله يا تلك العيون - في ظل كرملنا الحنون

✱ ✱

وبعد هذه الذكريات تعود الى الحدث التاريخي الاتيم الذي وقع

من الانجليز وتأمرهم مع اليهود ، حتى تمكن اليهود من الاستيلاء على

حيفا ، واخراج سكانها منها ، فرحل الى لبنان ٧,٠٠٠ مهاجر ، وكانت

هذه الحادثة بداية مشكلة المهاجرين كما يقول المجاهد عبدالله التل .

والشاعر هنا يذكر كيف دخل اليهود على غزة ، وكيف دارت المعركة

بينهم وبين العرب العزل من السلاح ، يقول :

وتدور معركة الجياه

ولا تزال ليومنا هذا تدور

ورأيت كرملنا الحبيب يضج بالمستعمرين

ابن الذخيرة ؟ لا ذخيرة بين ايدي الشائرين !

نفدت وجيشي الجرم المحتل جيش الانجليز

يعطي الخصوم ما يطلبون

وليه بابواب المدينة وقفة التامرين

فلا خروج ولا دخول

كيما يبأد الشعب في بلدي الحبيب

✱ ✱

وأخذت تذكر كيف انتهى بها الحال بعد هذه المؤامرة الائمة التي

ارتكبت في حيفا وبافا وغيرها من عرائس بلاد فلسطين ، وكيف ركبت

زورقا مع النساء والشيوخ ، زورقا صغيرا يهتز في البحر العظيم ،

ولكنها ادركت بحدسها أنها من المشردين وكانت حقا من اللاجئين ،

واخذت تذكر هذه العيشة . تقول :

وعرفت عيش اللاجئين

ومعسكرات مثلها بعض السجون

وعرفت توزيع الحليب وما يوجد الحسنون

وعرفت اسلاك المسكر حيث يعيا النازحون

وشببت في هذا المحيط اللجب اهزا بالنون

✱ ✱

ثم تعود الى بداية القصة تقول في شجي :

انا في الكويت اليوم اعمل كي اعيل النازحين

فابي مضي مستشهدا في الكرمل

واخي واختي في جموع النازحين

وكذلك امي بين رهط اللاجئين

انا في الكويت اليوم اعمل كي اعود

✱ ✱

هذه هي القصة التي ابداعها الشاعر وهي في رأيي فلادة المقدم

في هذا الديوان ، حقا ان فيها بعض الفقرات التي تحتاج الى تكثيف

وتركيز ، ولكنها تمثل الشعر البديع المتحرر من القيود ، وقد انطلق

الشاعر متحررا ايضا من التفعيلة الواحدة . وقد اثر فينا كل النائر،

واهدى اليينا مجموعة من الخواطر الخاصة والعامه جمعها في سبيكة

متقنة الصنع .

وبعد ، فانه لا يسعني الا ان احمد للشاعر ديوانه الذي لا يعد

ترانيم للعودة ، بل قوى دافعة بآية للنصر ، والعودة القريبة باذن

الله .

مصطفى عبد اللطيف السحرتي

القاهرة



مجموعات الآداب

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات
الشماني الاولى من الاداب تباع كما يلي :

مجموعة السنة الاولى	٩٥ ل.ل	١٠٠ ل.ل	غير مجلدة	مجلدة
» »	» ٢٥	» ٣٠		
» »	» ٢٥	» ٣٠		
» »	» ٢٥	» ٣٠		
» »	» ٢٥	» ٣٠		
» »	» ٢٥	» ٣٠		
» »	» ٢٥	» ٣٠		
» »	» ٢٥	» ٣٠		